المحاضرة رقم:04 في النّقد الأسلوبي

الأسلوبيّة الوظيفيّة

****تمهيد:***

الأسلوبيّة الوظيفيّة وتسمّى أيضا بالبنيويّة وتنسب إلى الباحث اللّغوي "**ميشال ريفاتير**" (Michel Riffaterre)، (1924–2006)، تنقّل في دراسته اللّغوية ما بين جامعة كولومبيا بالولايات المتحدّة الأمريكيّة وباريس وليون، كان عضوا في الأكاديميّة الأمريكيّة للفنون والعلوم. ومن أشهر مؤلّفاته:

–محاولة في الأسلوبيّة.

–إنتاج النّص.

**** 1/تعريفها:***

ومع "**ميشال ريفاتير**" بدأت الأسلوبيّة البنيويّة مسارا مهمّا في تناول الأسلوب في النصّ الأدبيّ، وقد أفرد كتابا خاصا لهذا الغرض وسمه ب: محاولات في الأسلوبيّة البنيويّة، صدر سنة 1971، وقد تمثّلت غاية هذا الكتاب في أنّ الأسلوبيّة البنيويّة تقوم على تحليل الخطاب الأدبيّ، لأنّ الأسلوب يكمن في اللّغة ووظائفها، ولذلك ليس ثمّة أسلوب أدبيّ إلاّ في النصّ[1]. وقد عرّف "**ميشال ريفاتير**" الأسلوب الأدبيّ بأنّه "كلّ شكل مكتوب وفرديّ قصد به أن يكون أدبا"[2].

**** 2/ منهج التّحليل الأسلوبيّ عند ريفاتير:***

من أهمّ القضايا الّتي طرحها "**ريفاتير**" تكمن في ذلك التّركيز على الوحدات الأسلوبيّة في النّص، لتمييز الوحدات اللّغوية الّتي لا تقع ضمن المعطيات الأسلوبيّة، ولأنّ النّص يحتوي على بعض الظّواهر الّتي يمكن أن تعدّ أسلوبا ويحتوي على وحدات لغويّة لا يمكن أن تحتوي على سمات أسلوبيّة، وبذلك تصبح الأسلوبيّة قائمة على الانتقاء أو الاختيار في المعالجة، أي معالجة الظّواهر الأسلوبيّة دون الالتفات إلى العناصر الأخرى[3].

---

[1] موسى ربابعة: الأسلوبيّة مفاهيمها وتجلّياتها، دار الكندي للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط01، 2003، ص15.
[2] مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص35-38.
[3] موسى ربابعة: الأسلوبيّة مفاهيمها وتجلّياتها، ص16.

عمد "**ميشال ريفاتير**" إلى تأسيس منهج في التّحليل الأسلوبيّ من زاويّة التّواصل مفيدا من الطّروحات الجديدة الّتي قدّمها علم اللّسانيات، وانطلق في ذلك من مقولة مهمّة وهي أنّ الأسلوبيّة "تدرس فعل التّواصل لا بوصفه مجرّد إنتاج لسلسلة لغويّة، ولكن بوصفه يحمل طابع شخصيّة المتكلّم، وبوصفه يلفت انتباه المخاطب، وباختصار تدرس الأسلوبيّة طرق الكفاية اللّسانية، أي السّمة التّعبيرية في نقل حمولة عاليّة من المعلومات، وكلّما ازدادت التّقنيات التّعبيرية، تعقيدا –تحقّق بقصد أو بدون قصد جمالي من قبل المؤلف– ازداد إمكان اعتبارها فنا لغويا، وهكذا تقوم الأسلوبيّة باستقصاء الأسلوب الأدبيّ"[1].

3/بين ريفاتير وجاك أوبسون:

وتختلف أسلوبيّة "**ريفاتير**" عن أسلوبيّة "**جاك أوبسون**" في أنّ "جاك أوبسون" يرى الرّسالة قائمة بذاتها (يحوّل التّحليل الأسلوبي إلى تحليل لسانيّ، لا يحقّق التّواصل مع المخاطب)، أمّا "**ريفاتير**" يتجاوز ما طرحه "جاك أوبسون" ويرى أنّ هناك علاقة يجب أن تنشأ بين الرّسالة والمخاطب؛ فالعلاقة الّتي تقوم بينهما عنصر مهمّ من عناصر الأسس الّتي أقام عليها "ريفاتير" أسلوبيّته البنيوية[2].

هذه الرّؤية تستطيع أن تتجاوز كون الأسلوبية تحليلا ألسنيا يميّز عناصر الأسلوبيّة في رسالة ما، وإنّما يكون للقارئ دور في تمييز هذه العناصر، ولذلك يقوم القارئ في أسلوبيّة "**ريفاتير**" بدور مهمّ جدّا وهو دور يقوم على الوعي والإدراك لما تمثّله العناصر الأسلوبيّة من وظائف داخل النّص.

وبذلك يصبح طرفا عمليّة الإخبار عند "**ريفاتير**" هما الباث والمخاطب، "فإذا كانت غاية الباث في عمليّة الإبلاغ العاديّ أن يصل بالمتقبّل إلى مجرّد تفكيك الرّسالة اللّغوية لإدراكها، فإنّ غاية الباث في عمليّة الإبلاغ الأدبيّ تتمثّل في توجيه المتقبّل توجّها يقوده إلى تفكيك الرّسالة اللّغوية على وجه معيّن مخصوص، فيعمد الباثّ عندئذ إلى شحن تعبيره بخصائص أسلوبيّة تضمن له هذا الضّرب من الرّقابة المستمرّة على المتقبّل في تفكيكه للمضمون اللّغوي"[3].

4/ مقوّمات أسلوبيّة ريفاتير:

أ/ عنصر المفاجأة والتّشويش:

---

[1] محمّد حسن عبد الله: الصّورة والبناء الشّعري، دار المعارف، مصر، ط01، 1981، ص114.
[2] موسى ربابعة: الأسلوبيّة مفاهيمها وتجلّياتها، ص16، 17.
[3] المصدر نفسه، ص17.

وممّا يتّصل بالمتلقّي فإنّ هناك مقوّما آخر من المقوّمات الّتي تعتمدها نظريّة "**ريفاتير**" وهي ارتباط مفهوم الأسلوب بعنصر المفاجأة الّتي تصدم متلقّي الرّسالة وتحدث تشويشا له، فكلّما كانت السّمة الأسلوبيّة متضمّنة للمفاجأة، فإنّها تحدث خلخلة وهزّة في إدراك القارئ ووعيه[1].

ب/ القارئ العمدة:

هو ليس قارئا بعينه، وإنّما هو مجموعة الاستجابات للنّص الّذي يحصل عليها المحلّل الأسلوبيّ من عدد القرّاء الّذين تلقوا النّص الأدبي، لذلك عرفت أسلوبية "**ريفاتير**" بأسلوبيّة التّلقي[2].

الخاتمة:

يمكن القول: إنّ "**ريفاتير**" استطاع أن يتجاوز أسلوبيّة "بالي" و"سبيتزر" على الرّغم من أنّه أفاد منهما، فإذا كان "**بالي**" يرى أنّ هناك أهميّة كبيرة تكمن في الطّاقات التّعبيرية القارّة في صميم اللّغة، فإنّ "**سبيتزر**" ربط الأسلوبيّة بشخصيّة الكاتب، في حين أنّ أسلوبيّة "**ريفاتير**" وهي الأسلوبيّة البنيويّة لم تعن إلاّ بالخطاب موضوعا للدّراسة، هذا إلى جانب رفض الأحكام الاعتباطيّة والانطباعات الذّوقية.

[1] موسى ربابعة: الأسلوبيّة مفاهيمها وتجلّياتها، ص 17.
[2] المصدر نفسه، ص18.